.. أرجع بعض العلماء والدعاة أسباب الأزمات والمحن التي تهيمن على الكثير من البلدان العربية والإسلامية إلى ابتعاد مجتمعات تلك البلدان عن منهج الإسلام وافتقادهم لثقافة التسامح والحوار كفريضتين غائبتين في السلوك والقيم، وأفاد أولئك الدعاة أن تلك المحن والبلايا التي نزلت بالمجتمعات وما خلفته من آثار سلبية على الأوطان والشعوب كان يمكن التقليل من آثارها وتجاوز الحد الممكن منها باستنهاض ثقافة التسامح والحوار ، موضحين أن الغلظة والشدة والعنف والتفتت في طبيعة العلاقة القائمة بين أبناء المجتمع بعضهم البعض ، هي من الأعمال المنافية لمقتضيات العقيدة الإسلامية.

وأكدوا على أن التسامح التزام وتجسيد لما جاء به الإسلام.. ودعوا كافة أبناء المجتمع إلى استغلال الشهر الكريم لإشاعة قيم التسامح والحوار مع بعضهم البعض وأن يكون ذلك سلوك ومنهج حياة لكل فرد من أفراد المجتمع.

ذلك أن الدين الإسلامي بمضمونه وما حمله من قيم التسامح والمحبة بشكل يتواءم مع الفطرة الإنسانية وتتقبله النفس البشرية من غير تكلف أو تعصب فيما شجر بين المسلمين لقوله تعالى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) »الآية ٨٥ البقرة«.

فالله لا يريد المشقة والعناء لعباده وقد جاءت السنة النبوية مؤكدة ذلك بكثير من الأحاديث التي تحمل معاني اليسر في أمور الدين والدنيا ومعالجة المشكلات بالعقل والحوار والتسامح لأن ذلك من أهم ما تتميز به الرسالة الإسلامية وإذا كان التسامح مشتقاً من السماحة وهي البساطة والسهولة واليسر، ولا يعني ذلك أن التسامح هو التساهل وإنما المأخاة والتكافل والتراحم خصوصا في هذا الشهر الكريم وعدم التشدد والتطرف والعنف وإنما أخذ الأمور برفق ويسر ولين ، حيث نجد أن التبسط في التعامل لكافة شؤون الحياة خلق سلوك حث عليه الإسلام.

تحقيق/اصفوان الفائشي

هل يستدعيهما شهر الصيام؟

التسامح والحوار.. رضان لا ينبغي أن يغيبا!!

علماء ودعاة:

- الحوار ليس فيه فائز أو مهزوم والإسلام وضع لنا آدابا لمناقشة قضايا الخلاف
- التسامح السلوك الأمثل لوأد الخلافات بين أفراد المجتمع

التفاعل والتشارك

ويتضح أن صيغة كلمة التسامح هي التفاعل والتشارك بين طرفين أما الصورة البارزة لتطبيق هذا المعنى هو أن التنازل يكون من طرف سواء أكان فردا أو جماعة لطرف آخر بحيث تتم المعاملة بينهما برفق ولطف وسماحة.

وعد العلماء أن من محاسن الأخلاق أن يكون الإنسان سمحا وسطا لينا هينا فمن الأقوال السائدة (لا تكون صلبا فتكسر ولا لينا فتعصر) وقد أثنى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الشخص المتسامح وعلى خلق السماحة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (رحم الله رجلا سمحا إذا باع سمحا إذا اشترى سمحا إذا اقتضى) الحديث وفي الحديث أيضا (السماح رباح) يعني فيه الربح.

ويقول فقهاء الإسلام أن خلق السماحة والتسامح بين الناس لهو خلق رفيع يعيش الإنسان في ظله سليما من الأذى بمداراة الناس والبعد عن جذلهم ومطالبهم وعنفوانهم فيكفي نفسه من الآخر متبعا ومطبقا لمعالم الأخلاق التي حث عليها سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمتمثلة في معنى قوله: (أن تعفوا عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من منعك وتكون بشوشا لمن تلقاه)، وبالنظر لتلك الكلمات الناصعة نجد أنها تحمل سلوكا رفيعا تجعل من صاحبه محبوبا عند الناس تنطبق عليه صفات المؤمن الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (المؤمن يألف ويؤلف).

أما الوجه الآخر للتسامح فهو أن يرضى المرء بما قسم الله له وذلك من خلال القناعة والرضا والإنابة إلى الله بتصحيح المسار ، ويكون التسامح المعهود مع الناس بالتواضع وعدم الأنانية وفي كل الأحوال وعلى سائر الأصعدة.

التسامح والعفو

ولا شك أن هيمنة الاحتقانات والتناحرات والأحقاد بين المسلمين بعضهم البعض ناتج عن غياب ثقافة الحوار والتسامح حيث يؤكد الشيخ جبري إبراهيم حسن أن التسامح مفتاح الصفاء النفسي والروحي والطمأنينة وما ساد التسامح مجتمعا إلا حل فيه الخير والوئام والتراحم والتواد والألفة بين أعضائه وطبيعة المسلم متسامح سمح في جميع أحواله كما علمنا رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم (فهو سمح إذا باع وسمح إذا اشترى).

ولعل القاعدة الأساسية التي تقوم عليها حياة الناس هي قاعدة التوازن بين الحقوق والواجبات وأي اختلال في ذلك التوازن لا يمكن أن يعالج إلا بالتسامح الذي يعني ببساطة شديدة الصفح والعفو والإحسان وبذلك يمثل التسامح نظرة إنسانية عظيمة لا يمتلكها إلا الإسلام ، غير مقتصرة تلك النظرة على المسلمين فقط وإنما شملت أديانا مغايرة لدينهم ويرفضون إكراه أحد على ترك ملته ويرضون أن يتآلف المجتمع بصفة عامة.

ويقوم التسامح على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وقد ألف الإسلام على ذلك التسامح الذي ينبغي أن يتحول إلى سلوك عام ودائم بين المسلمين في البيت والمدرسة وفي الشارع وفي الوظيفة وفي مختلف مناح الحياة ولن يتأتى ذلك إلا بالتربية وأن نغرس التسامح في أطفالنا منذ الصغر وأن نكون لهم المثل والقدوة في ذلك التسامح والتراحم.

الإسلام والحقوق الشخصية

من جانبه يقول الشيخ عبدالله المسبح داعية يمني – يعترف الإسلام في كل أنظمته وتشريعاته بالحقوق الشخصية لكل فرد من أفراد المجتمع ولا يجيز أية ممارسة تفضي إلى انتهاك هذه الحقوق والخصوصيات ولا ريب أنه يترتب على ذلك الكثير من نقاط الاختلاف بين البشر ولكن هذا الاختلاف لا يؤسس للقطيعة والجفاء والتباعد وإنما يؤسس للمداراة والتسامح مع المختلف.

منظومة أخلاقية

ويضيف: إن المنظومة الأخلاقية والسلوكية التي شرعها الدين الإسلامي من قبيل الرفق والإيثار والعفو والإحسان والمداراة والقول الحسن والألفة والأمانة ، حث المؤمنين على الالتزام بها وجعلها سمة شخصياتهم الخاصة والعامة كلها تقتضي الالتزام بمضمون مبدأ التسامح ومن خلال هذه المنظومة القيمية والأخلاقية نرى أن المطلوب من الإنسان المسلم خصوصا في ظهر الصوم ، بل دائما وأبدا وفي كل أحواله وأوضاعه أن يلتزم بمقتضيات التسامح ومتطلبات العدالة.

لا فتا إلى أن التسامح كسلوك وموقف ليس منة أو دليل ضعف وميوعة في الالتزام بالقيم ، بل هو من متطلبات القيم والالتزام بالمبادئ ذلك أن الغلظة والشدة والعنف في العلاقات الاجتماعية والإنسانية هي المناقضة للقيم وهي المضادة لطبيعة متطلبات الالتزام وهي دليل ضعف لاقوة.

وبحسب المسبح فإن الأصل في العلاقات الاجتماعية والإنسانية أن تكون علاقات قائمة على المحبة والمودة والتآلف حتى ولو تباينت الأفكار والمواقف ، بل إن هذا التباين هو الذي يؤكد ضرورة الالتزام بتلك القيم والمبادئ.

الوحدة والتسامح

فوحدتنا الوطنية اليوم بحاجة إلى غرس قيم ومتطلبات التسامح في فضائنا الاجتماعي والثقافي والسياسي ، كون التسامح من العناصر الأساسية في تعاليم الإسلام وبالتالي فإن ذلك التسامح من الأهداف التي ترمي إليه التربية الإسلامية.

التسامح والحوار

ويرى الشيخ حمود الحجوري أن الحوار والتسامح متلازمان، فالحوار بين الناس أمر محتم لا غنى عنه بينهم في معاملاتهم اليومية وشؤون حياتهم العامة التي تتعلق بمأكلهم ومشربهم وملبسهم وحقوقهم وواجباتهم وقد تكررت مادة القول التي تدل على الحوار والمراجعة بين الناس في القرآن الكريم أكثر من ألف و٧٠٠ مرة وذلك لأن الاختلاف بين الناس قديم ويبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى (ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم).

أسباب وآداب

ويقول الدكتور سيد طنطاوي شيخ الأزهر السابق رحمه الله أن أسباب الخلاف في الحوار بين الناس يرجع إلى عدم وضوح رؤية الموضوع في كل جوانبه والتقليد للآخرين دون برهان أو دليل مع التعصب الأعمى للرأي والرمي على المصالح الخاصة وحب الشهرة أو الرئاسة.

وقد قدمت لنا الشريعة الإسلامية آدابا للحوار والمناظرات في الأسرة والمجتمع ويكون هدفه الوصول إلى الحق في حدود ما أحله الله منها.

التزام الصدق وقد قدم القرآن الكريم مثالا لذلك في سورة (الشعراء) في محاورة موسى عليه السلام وشجاعته في الوصول إلى الحق.

أما أصحاب الهوى والمصالح الضيقة – بحسب طنطاوي – فهم يجادلون من غير حجة أو برهان جدالا بالباطل، ومن آداب الحوار التزام الموضوعية وذلك بعدم الخروج على الموضوع لحل النزاع حتى لا تتوه الحقيقة ومثال ذلك محاورة إبراهيم عليه السلام كما ورد في سورة البقرة للملك الظالم والذي كان أساس ذلك الحوار الوصول إلى الحقيقة في وجود الله.

وينبغي على المحاور أن يلتزم بالتواضع وأن يلتزم بآداب الحديث لأن الحوار الذي يقوم على التباهي لا يأت بنتيجة توصل أطراف الحوار إلى الحق ولا بد للمعارض من حقه في التعبير عن رأيه دون مصادرة لقوله أو إساءة لشخصه فقد قال الفقهاء: (رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب) ونتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا.

موضحا أن القرآن الكريم قد ساق لنا معارضات كثيرة عمن جاهر بالمعصية وهو إبليس وكلها تدور في سياق راق كما علينا لنجاح الحوار أن نحدد الموضوع منعا للتعميم في الأحكام ولا نجامل ولا نظلم أحدا وأن تكون أهم النقاط التي يقوم عليها الحوار في الحقيقة لا الإشاعات الكاذبة المغرضة ، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتثبت من صحة الأخبار ويتأنى في الحكم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت عن سوء فسلم ، وبالتالي فإن رفع الصوت ليس دليل حجة ، فالصوت العالي ليس معناه دائما أن صاحبه على حق ، بل هؤلاء عندما يعجزون عن الرد المقنع ترتفع أصواتهم ويشهرونها في وجوه محاوريهم.

ويؤكد الشيخ رمضان عبدالمطلب أن ثقافة الحوار لا بد أن نتعلمها منذ الصغر حتى لا تتحول الحوارات إلى معارك كلامية غير مجدية يضيع معها أسمى حرف وهو (التشاور) وحتى لا تفسد العلاقات الودية ويضيع الوقت.

الحوار والجدال

ويضيف الشيخ رمضان عبدالمطلب مدير تحقيق التراث في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية المصري أن الحوار لغة: بكسر الحاء هو عن شيء يجري بين شخصين أو أكثر في أمر من الأمور المختلف عليها للوصول إلى نتيجة محددة يتم الاتفاق بشأنها.

أما الجدال فهو المخاصمة بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب والانتصار للنفس والأهواء فالجدال يؤجج النزاع لكن الجدال والحوار يشتركان في إظهار الحق إذا أريد بالجدل عرض الصواب ويفترقان في أن الجدل بالباطل يطمس معالم الحق ويسعى لإخفائه ، لذلك أرشدنا الإسلام إلى ترك الجدل وإذا اضطررنا إليه فيكون ذلك الجدل بالحسنى قال الإمام مالك: (الجدال بما لا يفيد ليس من الدين لأنه يقسي القلب ويقوي الضغائن).. فحرية الرأي مكفولة في الإسلام للجميع وفي السنة النبوية حقائق وشواهد كثيرة تؤكد ذلك.

لغة الحوار لا لغة القطيعة

ويرى الشيخ عبدالله القدسي أن الحوار مظهر من مظاهر رقي المجتمعات فالعقلاء يتحاورون ويتناظرون ولا يتنازعون وعما اتفقوا يصدرون ويديرون الحوار تحت مظلة ثوابت ومعرفة للجميع يتفق عليها قبل البدء ويحتكم عند الاختلاف إلى مرجعيات مسلّم بها.

ويضيف: والمتأمل لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم يجد أن كلمة الحوار وردت ثلاث مرات ووردت قصص الحوار أكثر من خمسمائة مرة ، وهذا يدل على مكانة الحوار لذلك فإن المسلمين بحاجة في الظروف الراهنة إلى لغة الحوار بدلا من لغة القطيعة حتى يكون الحوار خلقا وسلوكا للمسلمين ، مع ضرورة مراعاة آداب الحوار وأخلاقياته وموضوعاته وشروطه كما ينبغي أن يكون الحوار حاضراً في جميع الأوقات وليس استدعاء لحالة طارئة أو مرحلة حرجة دفعنا إليها دفعا كون الحوار مبدأ شرعياً أكدت عليه عقيدتنا الإسلامية.

وبالنظر لما يشهده الوطن اليمني في الظرف الراهن فإن الوضع القائم ما كان له أن يصل إلى ما وصل إليه من مأزق مخيف أنشب أظفاره في الحياة لولا غياب التسامح وانعدام الثقة ما كان لهذا التنافر والتأزم أن يكون لو تم استنهاض ثقافة التسامح والحوار التي عرف بها اليمنيون قديما بعيدا عن التدخلات الاقليمية والدولية.